دور نابلس في عصر الحروب الصّليبيّة
الهزيمة والانتصار

إعداد

الدّكتور جبر خضير البيتاوي

بحث مقدم إلى

جامعة النّجاح الوطنيّة

نابلس

" نابلس بلدة يّحتاج إليها، ولا تحتاج لغيرها"

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 1/103

تمهيد

تعدّ نابلس من أقدم المدن والبلدات في العالم، فهي من أقدم عشر مدن بنيت على الأرض, وأول من بناها اليبوسيون الكنعانيون العرب وسكنوها، قبل أكثر من ستة آلاف عام. واتّخذها الكنعانيون عاصمة لهم، لأهميتها الجغرافيّة, إذ تتوسط فلسطين.

وشكيم أول تسمية لها وتعني المكان المرتفع وهي تسمية كنعانيّة, فقد ذكرت التّوراة "بأن يعقوب عليه السلام, عندما أتى من فوات أرام في سوريا، نزل مدينة شكيم ونصب خيمته بجوارها بعد أن سمح له بذلك حاكم المدينة الكنعاني، ورئيسها حمور الحويّ وابنه شكيم(1).

وحينما احتلها الرومان سنة 272م قاموا بهدمها، وبنوا على أنقاضها مدينة نيابولس, وتعني المدينة الجديدة, ومن آثارهم المدرّج الروماني في منطقة رأس العين، وغيره من الآثار, شاهدة على قوّة نفوذهم, فقد أرادوا احتلال الشّام عامّة، وفلسطين ونابلس خاصّة. وبقي الرومان يحكمون نابلس, حتى تمكّن العرب المسلمون من تحريرها عام 15هـ/ 626م على يد القائد عمرو بن العاص. ونابلس هي التسمية العربيّة الإسلاميّة لهذه المدينة والتي عرفت بها ولا تزال.

أهمية نابلس الدّينيّة والتّاريخيّة:

كانت نابلس خاصة وفلسطين عامة مسكن الأنبياء والرسل عليه السلام, فقد أورد علي الحيري الرّحالة والجغرافي الذي زار نابلس سنة 569هـ/ 1173م, أنّ آدم عليه السلام سكن نابلس, إذ يقول: يوجد خارج نابلس مسجد يقال أنّ آدم سجد فيه في صلاته.(2)

وقد ذكر هذا الشيخ عبد الغني النّابلسي في رحلته إذ يقول: "ثم ذهبنا إلى مكان يقال له مصلّى آدم عليه السّلام، وهو مكان واسع كبير فيه منبر ومحراب وهو الآن خراب, وكان أولاً مصلّى البلدة في العيدين بلا ارتياب, قيل إنّ آدم عليه السّلام كان يزرع الحنطة في مرج بن عامر بالقرب من جنين, فكان يصلّي الصبح في هذا المصلى، ويذهب بعد ذلك الحين, فيزرع الحنطة في مرج بن عامر, لأنّه أول من صلّى الصبح ركعتين، ركعة شكراً لذهاب الظّلمة, وركعة شكراً لظهور النّور, كما هو مقررٌ في محلّه, فدخلنا هذا المصلّى, ودعونا الله تعالى فيه لنا وللإخوان".(3)

كما أنّ إبراهيم عليه السلام أول ما نزل نابلس, وكذلك نبي الله يعقوب كان قد سكنها هو وأولاده, وزكريا وغيرهم(4). لقد كان لهذه الأهمّية الدّينيّة والتّاريّخية أنها أصبحت محطة للغزاة والفاتحين, فبعد أن تمكّن المسلمون من فتحها كما أسلفنا, بقيت بأيديهم حتى احتلها الفرنج الصّليبيّون سنة 492هـ/ 1099م.

وقد أورد ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1128م) في كتابة البلدان: أنّ سبب تسمية نابلس بهذا الاسم فيقول: سُئل شيخ من أهل المعرفة من أهل نابلس لم سميت بذلك؟ فقال: أنّه كان هنا واد فيه حية قد امتنعت فيه, وكانت عظيمة جداً وكانوا يسمّونها بلغتهم لس, فاحتالوا عليها حتّى قتلوها, وانتزعوا نابها, وجاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة, فقيل: ناب لس أي ناب الحية, حتى كتبوها متصلة هكذا, وغلب هذا الاسم عليها(5).

الأوضاع السّياسيّة والفكريّة للمسلمين قبيل الحروب الصّليبيّة:

لقد كان لسوء أوضاع المسلمين السّياسيّة والفكريّة دور مهم في تمكن الإفرنج الصّليبيّين من احتلال المشرق الإسلامي عامّة، وفلسطين خاصّة. فكانت الدّولة الفاطميّة في مصر, قد تبنت المذهب الشّيعي من جهة، والخلافة العبّاسيّة في المشرق الإسلامي، وكانت تتبنى المذهب السنّي من جهة أخرى. كذلك كان هناك صراع مذهبي بين الفرق الإسلاميّة, التي كانت تكفّر بعضها بعضاُ(6).

وفي الوقت الذي كان المسلمون قد دبّت بهم الفرقة والانقسام، اجتمع الفرنج في كليرمونت بقيادة البابا أوربان الثّاني سنة 489هـ/1096م, ألقى خطبة حماسية في أكثر من ثلاثمائة من الأساقفة والكهنة, اتّهم المسلمين بأنّهم يدنّسون قبر المسيح عليه السّلام على حسب زعمهم, وبدأ يأتي بمقولات توراتيّة محرّفة من مثل: اطردوا أبناء الجارية, وأحرقوهم كالقش، وبدأوا بالهتاف "هذه إرادة الله"(7).

بدأت الحملات الصّليبيّة بالتوجه إلى المشرق الإسلامي، وبدأوا يدخلون المدن والقرى, يقومون في أهلها قتلاً أو ذبحاً أو تشريداً, كما يقول ستيفن رونسمان: أنّ الفرنج ما دخلوا مدينة ولا بلدة إلا أحدثوا في أهلها قتلاً أو ذبحاً أو تشريداً", فقد قتلوا في معرّة النّعمان أكثر من مائة ألف. وفعلوا مثل ذلك في مدينة القدس حينما احتلوها سنة 492هـ/ 1099م فقد ذبحوا فيها أكثر من سبعين ألفاُ من المسلمين، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "وركب النّاسَ السيفُ, ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين, ولم يراع الصّليبيّون حرمة الأماكن المقدسة, إذ قتلوا ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين في المسجد الأقصى, كان من بينهم

عدد من الأئمة والعلماء الزهّاد, هذا بالإضافة إلى عمليات السلب والنّهب التي تعرضت لها المدينة"(8).
كما أنّ المؤلفين الإفرنج قد وصفوا هذه المجازر بصور مرعبة، تدل على تشفّيهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين وفي ذلك يقول أنتوني بردج: "وعند تدفق الإفرنج داخل الشوارع تقهقر المسلمون إلى المسجد الأقصى، ومع أن تانكرد أعطى الأمان لهم، لكن ما إن تغلغل الصّليبيّون داخل المدينة، حتّى عرضوهم لمذبحة دمويّة هائلة، وقاموا بقتل كل رجل وامرأة وطفل وجدوهم في المدينة، ودامت المذبحة طوال اليوم. وعندما ذهب الرّاهب ريموند لزيارة المنطقة، وجدها قفراء مليئة بالجثث، بحيث أن المسجد الأقصى، وقبة الصخرة كانا مليئين بجثث المذبوحين، الذين وصلت دماؤهم إلى مستوى الركب".(9)

وقد وصف الشّعراء هذه المذابح والمجازر بقصائد مليئة بالأشجان والأحزان, وفي ذلك يقول الشّاعر أبو المظفر الأبيوردي:

مزجنا دماءً بالدّموع السواجم	فلم يبق منّا عرضة للمراحم
وشرّ سلاح المرء دمع يفيضه	إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم
فآيها بني الإسلام إنّ وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

احتلال نابلس:

وبعد احتلالهم للقدس، تمكن الإفرنج من احتلال نابلس سنة 492هـ/ 1099م. وقد استسلمت المدينة دون قتال ومقاومة، نتيجة للخوف والذّعر الذي أصابهم، ونتيجة للمذابح التي سمعوا بها. وكان قائد حملة الإفرنج في احتلال نابلس الأمير تانكرد، وبوستاش حيث أصبحت المدينة نقطة انطلاق قوات الاحتلال الصّليبي نحو الجليل وطبريّا، وقد تمكن تانكرد من تكوين إمارة الجليل بعد احتلاله، وجعل نابلس تابعة لها، بل أصبحت من أهمّ مدن هذه الإمارة. فضلاً عن إفادته من ثراء المدينة ووفرة خيراتها، وموقعها المتوسط. وجعل لها حامية على قدر كبير من الكفاية للدّفاع عن المدينة ضد الأخطار الخارجيّة التي قد تتعرض لها، فضلاً عن ترتيبات الأفق الداخلي لقمع ما قد ينشأ من اضطرابات ومقاومة في المدينة، ولا شك أنّه قد نظم الإدارة فيها واستعان بمعاونيه للإشراف على حكمها وتنظيم مواردها"(10).
ويظهر أنّ الصّليبييّن أرادوا أنّ تكون لهم الأرض المقدّسة إلى الأبد، ولهذا قام الملك بلدوين الأول ببناء قلعة صليبيّة في نابلس، لتكون حصناً منيعاً. لكن المسلمين عامة وأهل نابلس خاصة رفضوا هذا الاحتلال. وبدأوا هجمات مستمرة لاسترجاع أراضيهم السليبة ومنها نابلس(11).
بدأ الإفرنج بتقوية نفوذهم في نابلس، فقام فيسكونت الذي خلف تانكرد في إدارة نابلس بجباية الضرائب الباهظة، وإرسالها إلى الخزانة العامة، والحفاظ على النّظام، وكذلك جعلوا لكل قرية سيد قوم يجمع الضّرائب لهم. وقد فرض الإفرنج سلطة دينية كنسية على نابلس تمثّلت بفرض نظام العشر. أي على التّجار والصنّاع والزّراع أن يدفعوا عشر منتوجاتهم إلى حاكم المدينة. ونظام الإقطاع كان من أبشع الاستبداد الذي كان يمارسه الصّليبيّون على مدينة نابلس خاصة وبقية المدن والبلدات الفلسطينيّة عامّة.(12)
وكانت إقطاعية نابلس ملزمة بتقديم الخدمات العسكريّة والفرسان والجنود، إضافة إلى الممتلكات والأموال للملك الصّليبي، طبقاً لحجمها ومنزلة صاحبها كما يقضي بذلك العرف الإقطاعي.
"فكان على نابلس أن تقدم أكثر من ثلاثمائة من الفرسان والجنود والمشاة. بل أكثر من ذلك كل فارس يلتزم بتجهيز نفسه ضمن قوّات الإقطاعية كما يلتزم بالإسهام في الحروب التي يدعى إليها. وهكذا كانت

نابلس ركناً ركيناً في النّظام الإقطاعي الصّليبي، وكان هذا على مدار السنين والأعوام".(13) أي كان عليهم أن يحموا الإفرنج من هجمات المسلمين التي بدأت تزداد ضد المحتل الإفرنجي، مما يرجح أن هناك من المسلمين من كان مع الجيش الصّليبي في المعارك بين المسلمين والإفرنج.

مقاومة نابلس وقراها للمحتل الصليبي:

إنّ هذا النّظام الإقطاعي المتمثل بوجود فرسان من الأهالي يشاركون الإفرنج مجبرين، أو مختارين، لا يعني أنّ أهالي نابلس كانوا جميعاً في خدمة الإفرنج. بل يشير المؤرخون المسلمون إلا أنّ قوات المسلمين من الموصل ودمشق بدأت تغير على المواقع من عكا حتى بيت المقدس، ومنها مواقع الإفرنج في نابلس، حيث قتلوا من ظفروا به من الإفرنج، إضافة إلى التّدمير والخراب الذي أصاب تلك البلاد، واشترك سكان نابلس من قرى المسلمين المجاورة بالهجوم على المدينة، إلى جانب القوّات الإسلاميّة، وأسفرت عن تدمير المدينة.
وقد ذكر ابن القلانسي فأشار إلى الهجوم الذي تعرضت له مدينة نابلس بقيادة طغتكين ومودود سنة 507هـ/ 1113م فقال: "لم يبق في بلاد الإفرنج مسلم، إلاّ ويطلب الثّأر مع آتابك في الهجوم على نابلس(14).

ويبدو أنّ المسلمين في نابلس وقراها، والبلدات الأخرى، وقفوا وساندوا القوّات الإسلاميّة المهاجمة، وهذا يدل على أنّ سكان نابلس وغيرها رفضوا هذا الاحتلال، وكانوا يعملون بشتّى الطّرق والوسائل للتّخلص من الاحتلال الصّليبي، وقد ذكر فوشيه الشارتري أنّ سكان جبال نابلس قاوموا الصّليبييّن المقيمين في المدينة، ولم تكن القوّات الإسلاميّة القادمة من الشّرق الإسلامي هي التي بدأت عمليات الاسترداد من الصّليبييّن، بل إن القوات المصريّة بدأت الهجوم من الجنوب نحو عسقلان والقدس.

وقد أورد فوشيه الشارتري هجوماً كبيراً قامت به القوّات المصريّة على نابلس سنة 518هـ/ 1124م إذ أشار إلى تعرّض سكان نابلس من الصّليبييّن للقتل وتعرض بعض جهات المدينة للخراب والدمار"(15).

وتدل هذه الهجمات على الإفرنج أنّ المسلمين لم يتوقفوا عن الهجوم على المحميات الصّليبية، سواء في مدينة نابلس، أو في القدس وغيرهما, وأنّ سكان مدينة نابلس وقراها كانوا دائماً عوناً لإخوانهم المهاجمين. وقد بدأت المعارك بين المسلمين والإفرنج تزداد بعد استيلاء عماد الدّين زنكي على الحكم، والذي بدأ بترتيب إمارة الموصل، وإمارات الشّام تحت سيطرته, وبدأ يعد العدّة لاسترجاع المدن والبلدات الفلسطينيّة، لا سيما مدينة القدس.

وهكذا نجد أنّ نابلس كغيرها من المدن والبلدات الفلسطينيّة كانت تعاني من الاحتلال الصّليبي، سواء عن طريق الضّرائب الكبيرة أو نظام الإقطاع "وزاد ذلك حينما قام بلدوين الأول بمنح نابلس إقطاعيّة لأسرة ميللي, وقام بتعيين نائباً عنه في نابلس كان يحمل لقب فيسكونت وذلك لإدارة شؤون المدينة, التي كان أهلها ملزمين بتقديم الخدمات العسكرية لمملكة بيت المقدس اللاّتينية, ومنها إلزام رعاياها المسلمين بدفع ضريبة العشر للكنيسة اللاتينية"(16).

وهكذا فإنّ نابلس قد لعبت دورا مهماً للمالك الصليبيّة، حيث كانت مركزاً لاجتماعات الملوك والأمراء الإفرنج، وكان الملك بلدوين الأوّل والثّاني يلتقيان فيها بكبار رجال الإقطاع ورجال الدّين، فقد كان يعتمد عليها في الضّرائب، وفي تمويل مملكة بيت المقدس بالمال والعتاد والسّلاح، ولهذا كانوا يولون أهميّة لها ولمن يحكمها.

فكانت إقطاعيّة نابلس تشارك بفرسانها وجنودها في الحملات العسكريّة التي كانت تجهز ضد الممالك

الإسلاميّة، "ولا شك أنّ قوات إقطاعيّة نابلس كانت من دعائم الجيش الصّليبي في حروبه مع المسلمين، ولحماية حدود المملكة ضد الأخطار الخارجيّة التي كانت تتعرض لها بين الحين والآخر، ولا بد وأنّ إقطاعيّة نابلس كانت تسهم في إمداد الجيش الصّليبي بالمؤن والزاد، بسبب كونها كثيرة الخيرات واسعة الثراء".(17)

هجمات المسلمين على نابلس المحتّلة:

لقد بدأت الهجمات الإسلاميّة تزداد حين تسلم نور الدّين زنكي إمارة الزنكيين بعد وفاة والده الشّهيد عماد الدّين زنكي، يقول ابن الأثير في وصف هجمات نور الدّين محمود زنكي: "ثم إنّ نور الدّين زنكي غزا بلاد الإفرنج غزوات أخرى، فلقيه فرسان الإفرنج وقاتلوه، فهزمهم وقتل منهم الكثير وأسر الكثيرون كذلك، فكان من الأسرى البرنس الثاني فقام نور الدين بأسره سنة 559 هـ/1163م.

بدأت مرحلة جديدة من الصّراع بين المسلمين والإفرنج حينما استلم قيادة المسلمين الملك العادل نور الدين محمود زنكي، الذي أكمل مسيرة والده الشهيد عماد الدّين زنكي. "فغزا حصن انب عند أنطاكية، وأظهر نور الدين محمود زنكي من الشّجاعة والصّبر في الحرب على حداثة سنّه ما تعجب به الناس. وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا، وفيه قتل البرنس صاحب أنطاكية، وكان عاتياً من عتاة الفرنج. وفي ذلك يقول الشّاعر ابن القيسراني في مدح نور الدّين وانتصاراته على الفرنج:

هذه العزائم لا ما تدعي القضب   وذي المكارم لا ما قالت الكتب

وهذه الهمم اللّاتي متى خطبت   تعثرت خلفها الأشعار والخطب(18)

كان نور الدين زنكي ملكاً عظيماً وفي وصفه يقول ابن الأثير: "قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام، والى يومنا هذا فلم أجد فيها بعد الخلفاء الراشّدين، وعمر بن عبد العزيز، ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدّين محمود، ولا أكثر تحريا للعدل والإنصاف منه، وقد قصّر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، وظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وانعدام يسريه، وقد تعدّ من أحواله في مملكته ما يستدل به على ما ذكرنا".(19)

لقد كان الفرنج مقاتلين أشدّاء متمرسين بفنون القتال وأساليبه، وهذا يعزز استمرار الصّليبيّن في احتلالهم للمشرق الإسلامي مدة قرنين، والقدس ونابلس أكثر من تسعين عاما، مع كثرة القتل الذي لحق بهم، فقد قتل منهم في معركة الرّها أكثر من مائة ألف، ومع ذلك نراهم يستمرون في القتال، فقد كان الفرنج يرون وجودهم في الأرض المقدّسة صراع وجود. وفي وصف شجاعتهم يقول أسامة بن منقذ: الإفرنج _خذلهم الله _ما فيهم فضيلة من فضائل النّاس سوى الشّجاعة، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية إلاّ للفرسان، ولا عندهم ناس إلا الفرسان، فهم أصحاب الرّأي، وهم أصحاب القضاء والحكم".(20)

وصف عداء أهالي نابلس للفرنج المحتّلين:

وقد وصف أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار، عداء أهالي نابلس المسلمين للفرنج والعلاقات العسكريّة، والاجتماعية بينهما، فأورد مقاومة أهالي نابلس وشجاعتهم في مقاتلة الإفرنج ومقارعتهم، وفي ذلك يقول أسامة بن منقذ: "وشهدت يوما بنابلس، وقد احضروا اثنين للمبارزة وكان سبب ذلك أن حراميّة من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس، فاتهموا بها رجلا من الفلاّحين، وقالوا: هو دلّ الحراميّة على الضيعة، فهرب، فنفذ الملك فقبض أولاده، فعاد إليه وقال: أنصفني! أنا أبارز الذي قال عني، أني دللت الحراميّة على القرية، فقال الملك لصاحب القرية المقطع: احضر من يبارزه، فمضى إلى قريته، وفيها رجل حداد، فأخذه وقال له: تبارز!! اشفاقاً من القطع على فلاحيه لا يقتل منهم واحد فتخرب فلاحته، فقام الحداد بضرب رأسه بالعصا حتى قتله، فطرحوا في رقبته في الوقت حبلاً وجروّه وشنقوه" وهذا يدل على ظلم الإفرنج وحكمهم الجائر.(21)

وأورد أسامة بن منقذ قصته في شجاعة أهل نابلس ومقاومتهم للمحتلين الإفرنج حيث أن رجلا من أهالي كان يتعاون هو وأمه على قتل الفرنج، كذلك كان يحتال على حجاجهم ويقوم بقتلهم سراً، ذلك رداً على ما كانت تفعله فرق الداوية والاستنبارية وهما فرسان الهيكل، الذين كانوا يقتلون أسرى المسلمين، ويسرقون الحجاج المتجهين إلى مكة ويعذبونهم ويقطعون الطرق عليهم بل ويذبحونهم، وفي ذلك يقول أسامة بن منقذ: "ومضيت مرّة مع الأمير معين الدّين رحمه الله إلى القدس، فنزلنا بنابلس فخرج إلى رجل أعمى، وهو شاب عليه ملبوس جيد، مسلم، وحمل له فاكهة، وسأله في أن يأذن له في الوصول إلى خدمته إلى دمشق ففعل.

وسألت عنه فخبرت أنّ أمّه كانت مزوجة لرجل إفرنجي فقتلته، وكان ابنه يحتال على حجّاجهم ويتعاون هو وأمه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الإفرنج، جلبوا بتيه عظيمة وملأوها ماء وعرضوا عليه دفّ خشب، وكتفوا ذلك المتهم، وربطوا في كتفه حبلا، ورموه في التّيه، فإن كان بريئا غاص في الماء فرفعوه بذلك الحبل لا يموت في الماء، وان كان له ذنب ما يغوص في الماء، فحرص ذلك لما رموه في الماء أن يغوص فما قدر، فوجب عليه حكمهم لعنهم الله فكحّلوه".(22)

ثم أنّ معين الدين أمر أن يقرئ هذا القرآن، وشيئاً من الفقه فقال له ذلك الأعمى: النصر والغلب! ما كان هذا ظني، قال: وما ظننت بي؟ قال: تعطيني الحصان والبغلة والسلاح وتجعلني فارسا، قال: ما اعتقدت أنّ أعمى يصير من الفرسان".(23)

وشهدت نابلس وقراها وجود علماء مجاهدين، كانوا يحضّون المسلمين على مقاومة الفرنج في فترة الحروب الصّليبيّة، منهم الشّيخ عبد الغني الجماعيلي، وابن قدامة الجماعيلي، وأبو بكر الرملي، وغيرهم.
كما أنّ هناك علماء خارج فلسطين كانوا مع القادة المجاهدين يقاتلون معهم، ويحضونهم على الجهاد أمثال: الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ الجويني، وابن الجوزي، وغيرهم.

غزوة صلاح الدّين لنابلس المحتلة:

بعد موت الملك العادل نور الدّين محمود، تمكن صلاح الدّين يوسف بن أيوب (532_587 هـ) من الاستيلاء على الحكم, بعد ضعف حال أمراء المشرق الذين أصبح كل أمير يقتطع له مدينة ويسميها إمارة، وبدأ التّنازع والتناحّر بين الأمراء حتى حكم صلاح الدّين فبدأ عملية تجميع قوّة المسلمين، وإنهاء حكم أمراء الممالك الضّعاف، وفي ذلك يقول ابن جبير: "وهذه البلدات لسلاطين شتى، كملوك طوائف الأندلس كلهم قد تحلى بحلية تنسب إلى الدّين. فلا تسمع إلا ألقاباً هائلة وصفات لذي التحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السّوقة والملوك، واشترك فيها الغني والصّعلوك، ليس فيهم من ارتسم بسمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق، إلا صلاح الدّين صاحب الشّام وديار مصر والحجاز واليمن، المشتهر الفضل والعدل، فهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، وما سوى ذلك في سواء فزعازيع ريح، وشهادات يردها التّجريح، ودعوى نسبة للدّين برحت به أي تبريح:

ألقاب مملكة في غير موضعها　　　　كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد(24)

واستطاع صلاح الدّين ترتيب الأمور في مصر والشّام، ويقيم العدل ويشجع الزّراعة والصّناعة وفي المقابل قام بالاستيلاء على الشّام، والعراق، والحجاز، واليمن، وبدأ يحضر لفتح القدس وبقية المدن الفلسطينيّة، وكانت نابلس من أهم المدن الواقعة تحت احتلال الفرنج، فاتجه إلى مهاجمتها سنة 580 هـ /1184 م، حيث كان يدرك أهميتها وقوتها ومنعتها. وفي ذلك يقول ابن جبير في وصف مهاجمة صلاح الدّين لمدينة نابلس: "وانتهز الفرصة، وقصد قصدها من الطّرق القاصدة، وداهم صلاح الدّين الأيوبي مدينة نابلس، وهاجمها بعسكره، فاستولى عليها، وسبى كل من فيها، اخذ إليها حصوناً وضياعاً. وامتلأت أيدي المسلمين سبياً لا يحصى عدده من الإفرنج، وحصل المسلمون فيها على غنائم يضيق الحصر عنها، إلى ما اكتفت من الأمتعة والذّخائر والأسباب والأثاث إلى النعم والكراع، إلى غير ذلك".(25)

أدرك صلاح الدّين أن الفرصة سانحة لغزو نابلس، لما لها من أهمية كبرى في ذلك يقول العماد الأصبهاني لمّا رأى السلطان أن الفرصة سانحة لغزو نابلس وخطوة أغتنمها، وجاب نابلس، وأجرى إليها الخيل، وجّر عليها الذيل، وسلب وغنم وغلب، وأقام بها بياض يومه بسواد قومه، حتّى استخرج العسكر المغانم.(26)

وقد حدثت غزوة نابلس قبل معركة حطّين، وفتح القدس، وعدت مقدمة مهمة لانتصار المسلمين بقيادة صلاح الدّين الأيوبي، وشجعت المسلمين للاستمرار في استرداد البلدات التي وقعت تحت يد الفرنج، ويستمر ابن جبير في وصف هذه الغزوة والتي عدت انتصارا كبيرا على الفرنج وفي ذلك يقول: "وكل من فعل هذا السلطان الموفق أن أطلق أيدي المسلمين على جميع ما أحتازته وسلم لهم ذلك، فاحتازت كل يد ما حوت وامتلأت غنى ويساراُ، وعفا الجيش على رسوم تلك الجهات التي مرّ عليها من بلاد الإفرنج، ورجعوا غانمين فائزين بالسّلامة والغنيمة والإياب، وخلصوا من أسرى المسلمين عددا كثيرا، وكانت غزوة لم يسمع بمثلها في البلاد".(27)

مساهمة مصر في استرجاع نابلس والقدس وفلسطين:

بدأت أمور المسلمين تتحسن إلى الأفضل، حينما تمكّن شيركو وابن أخيه صلاح الدّين من هزيمة الصّليبيين في مصر، وانتهت بجلائهم نهائيا عنها سنة 561هـ/1165م. وبذلك دخلت مصر معركة بكل قوّتها ضد الصّليبيّن، يقول الدكتور محمد زغلول سلام في ذلك: "وعندئذ بدأ المرحلة الحاسمة في تاريخ الحروب الصّليبيّة، لتوحيد مصر والشّام، وكان صلاح الدين بطلها السّياسي والحربي، الذي تمكن بشخصيته الفذة أن يجمع حوله العالم الإسلامي، وأن يحوّل الهزيمة والضّعف إلى انتصار وقوّة.

والحقيقة أنّ شخصية صلاح الدّين متممة لشخصية نور الدّين محمود زنكي، كما أنّ الدولة الأيّوبية أكملت رسالة الدّولة الاتابيكيّة، وبلغت غايتها".(28) ويؤكد على ذلك ما ذكره وليم الصوري في تاريخ الحروب الصّليبيّة فيقول: "بدأ صلاح الدّين في غزو بلادنا، وحشد قوّات من جميع أنحاء مصر، ومن أراضي دمشق أيضا، وزاد أعداد أتباعه كثيرا بتجنيد جنود من الطبقتين الوسطى والدّنيا، وأخذ يخطط بالزحف نحو فلسطين ليدمرنا".(29)

وفي وصف صلاح الدين وحنكته وشجاعته يقول وليم الصّوري بأنّه أي صلاح الدّين: قائد شجاع، وكريم النفس، وكان الحاكم صلاح الدّين حاد الذكاء، نشيطا وشجاعا في الحرب، وفي غاية الشّهامة والكرامة.(30)

واستمر صلاح الدّين في اقتحام المدن الفلسطينيّة المحتلة من الجبهة المصريّة والسوريّة، -وبعد أن أجهز- على الدولة الفاطميّة، وفي ذلك يقول وليم الصّوري: "بدأ صلاح الدّين في جمع العساكر بأعداد كبيرة من جميع المصادر، وأمر بتجهيزهم بشكل معتاد بالأسلحة، وبجميع الأشياء المستخدمة في الحرب، ثم خرج مع هذا الجيش بنفسه وبدأ سيره من مصر إلى فلسطين حتى وصل غزة وعسقلان، واستحوذ في هذه المرحلة الخوف واليأس على المسيّحيين، فبدأ أملهم الوحيد في الفرار، وكان سكان القدس مستعدّين للتخلي عن المدينة".(31)

واتّجه صلاح الدّين إلى المشرق، وأخذ بفتح المدن هناك وتمكن من فتح بيروت، وصيدا، وحلب، وحماة، وحمص، وأخذ يعبر الفرات إلى بلاد الجزيرة، وفتح اليمن، وانتصر على الفرنج في حران والرها. ودخل بلاد حوران التي تشّكل جزءا كبيرا من أراضي بصرا، ودخل بقواته سوريا الصّغرى التي عاصمتها دمشق، ثم وجه قواته إلى الجزء الشّرقي من هذه المنطقة، وشق طريقه لمدينة درعا، واجتاح بجنوده المنطقة المليئة بالقصور.

وقد أورد العماد الأصفهاني وصفا دقيقا لهجوم القوات المصرية على نابلس وقد استطاع هؤلاء العساكر هزيمة جيش الفرنج، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، واستطاعوا اخراج كثير من الأسرى. وفي ذلك يقول العماد الأصفهاني: "ووقعت مقدمة العساكر المنصورة في أول يوم على خيل ورجل للفرنج عابرين من نابلس، فأوقعت بهم، وسدت عليهم طريق مهربهم، وقتلت راجلهم، وأسرت جماعة من الفرسان قيدوا في الأقياد، وتوغل الباقون في الجبال بحزازات القلوب، وحرارات الأكباد، وكان في مقدمهم ابن هانفري، ثم يقول ونحن قد بلغنا فيهم غايتنا والغنايم، والأسرى قد ملئت أيدي وثقلت الظهور، وعجل الله للإسلام النصر والظهور، وعدنا سالمين غانمين غالبين".(32)

معركة حطين:

استطاع صلاح الدّين عبور نهر الأردن وفتح طبريا وجعل الماء تحت يديه، وبدأ يعسكر هو وجنوده عند قرية حطين. كانت معركة حطين هي المعركة الفاصلة بين المسلمين والفرنج، وأكثر المصادر اللاتينيّة والعربيّة تحدثت عن هذه المعركة، فمن المصادر اللاتينيّة فولشر، ووليم الصوري في كتابه المعروف الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، المعروف بتاريخ الحروب الصّليبيّة وهو من المعاصرين لها، ومنهم رالف كوجدنال، ومنها حوليات الأرض المقدّسة، وكذلك ودودويل، ووليم ماليسبوري، وبندكت بيزبره، وجيمي بلو، وغيرهم.(33)

وقدّر عدد الجيش النظامي لصلاح الدّين بحوالي اثني عشر ألف رجل، غير أنّه ازداد عددا من انحاز إليه من المتطوعة، ومن الكتائب التي بعث بها حلفاؤه فأضحى عدد جنوده يقدر بثمانية عشر ألف رجل، ويذكر ستيفن رونسمان أنّ جيش الفرنج زاد عن خمسين الفا.(34)

وقد أوردت المصادر اللاتينيّة وصفا دقيقا لمعركة حطين، ركّزت على قدرة صلاح الدين على التّخطيط والتّجهيز للمعركة، إذ جعل بحيرة طبريا بين يديه ليمنع الإفرنج من الماء. وقاد المعركة بنفسه مع بعض أولاده وأخوته. وأما الجيش المسيحي فقاده ريمونت كونت، والملك جاي، ورينالد شاتيون، وباليان ابلين، بدأت المعركة بمهاجمة رماة المسلمين لمقدّمة الجيش المسيحي ومؤخرته معا، وأمطروا قلب الجيش بالسّهام واشتدت الحرارة والعطش على جيش الفرنج، فأمضى المسيحيون ليلتهم في بؤس، يستمعون إلى ما تردد في خيام المسلمين من تحتهم من الأدعية والأناشيد.

وانطلق من المعسكر المسيحي جماعة من العساكر، للتماس الماء، غير أن محاولتهم ضاعت هباء. بل أنهم لاقوا مصرعهم على أيدي المسلمين، وكيما يزيد المسلمون في عناء المسيحيين ومتاعبهم أشعلوا النار في الأعشاب والشجيرات الجافّة التي تغطي التل فغشي المعسكر المسيحي الدّخان الساخن، وفي جنح الظلام حرك صلاح الدّين رجاله فما كان يبزغ فجر السبت 4 يوليو سنة 1187م/583هـ حتى تم تطويق جيش الملك جاي، ويقول أحد المؤرخين أنّه ليس بوسع أحد قط أن يفلت من الشبكة المنصوبة.(35)

كذلك وصفت المصادر اللاتينيّة هذه المعركة بتصوير مفزع، وحالة رعب رهيب إصابة جيش الفرنج يكمل ستيفن رونسمان فيقول: "لم يلبث المسلمون أن بدأوا الهجوم عقب طلوع النهار، ولم يخطر بخلد الرجال المسيحيّين إلا فكرة واحدة تدور حول الماء، إذ حاولت جماعة كبيرة منهم أن تشق لها طريقا في المنحدر المؤدي إلى بحيرة طبريا التي تلمع مياهها تحت التل غير أنه جرى ردهم إلى التل، وقد غشاهم لهيب الحرائق وطوقهم المسلمون من كل جانب، فلقي عدد كبير مصرعهم بينما وقع آخرون في الأسر، وكان منظر المسيحيّين وهم يركدون على الأرض جرحى، وقد تورمت أقدامهم، يثير من الألم، ما حمل فرسان ينتمون لريمون على التّوجه لقادة المسلمين يتوسلون للمسلمين أن يجهزوا عليهم، حتّى ينتهي عذابهم. وبدأت القوات المسيحيّة بالانهيار، بعد أن أضعفها الظمأ الشديد وبعد أن كبدهم المسلمون خسائر فادحة.(36)

وهكذا انتهت المعركة بانتصار صلاح الدّين وجيشه على الجيش الصّليبي، الذي بدأ بالاستسلام من سلم منهم من القتل في المعركة، وأما بقية الجيش فقد بدأوا بالهرب وفي ذلك يكمل ستيفن رونسمان فيقول: "بدأ قادة الجيش المسيحي بالاستسلام كما حصل للملك جاي وشقيقه، وأمّا رينالد شاتيون فقد سل

صلاح الدّين سيفه وأطاح برأسه، لأن رينالد هذا أرتكب من الخيانة والغدر تجاوز كلّ حدّ. والملاحظة أن صلاح الدّين كانت حاشيته جماعة من المتصوفة الزهاد، الذين عمدوا بالإجهاز على الأسرى من الدّاوية والاسبتارية، الذين كانوا يقتلون أسرى المسلمين ويعذبونهم. وحمل الأسرى إلى دمشق فقد تقرر بيع الأسرى الفقراء في سوق الرقيق، وبلغ من كثرة الأسرى بهذا السوق أن هبط سعر الأسير الواحد إلى ثلاثة دنانير، وأضحى بوسع الشخص أن يشتري أسرة سليمة بأكملها مؤلفة من رجل وزوجته وأبناءه الثلاثة بثمانين دينارا. بل إن أحد المسلمين أعتبر ما أجراه من مبادلة عليه بأسير صفقة رابحة".(37)

وقد عدت هزيمة الصّليبيّن في معركة حطين، بأنها أضخم فاجعة وهزيمة حلت بالمسيحيّن وفي ذلك يقول ستيفن رونسمان: "سبق للمسيحيّن في الشرق أن تعرضوا للكوارث إذ وقع ملوكهم وأمراؤهم في الأسر، غير أن آسريهم لم يكونوا وقتئذ سوى أمراء صغار، لم يستهدفوا إلا إحراز بعض الكسب، على حين جرت معركة حطين إبادة أضخم جيش لم تحشد المملكة الصليبية مثله من قبل، وضاع الصليب المقدس".(38)

كذلك تحدثت عن هذه المعركة المصادر العربية منهم ابن القلانسي، صاحب كتاب ذيل تاريخ دمشق، وأسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار، وابن الأثير في كتابه الكامل في التّاريخ، وكذلك العماد الأصبهاني في كتابه الفيح القسي، وبهاء الدين بن شداد في كتابه النّوادر السلطانيّة والذي يعد من أهم المصادر العربية في تصوير فتوحات صلاح الدين، لا سيما معركة حطين وفتح القدس، فقد كان قاضيا لجيوش صلاح الدّين، كذلك كان ملازما له في حله وترحاله، وقد وصف في كتابه شخصية صلاح الدّين يوسف بن أيوب فقال عنه: "فإني لما رأيت مولانا السلطان الملك الناصر جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصلبان، رافع علم العدل والإحسان صلاح الدّنيا والدّين، سلطان الإسلام والمسلمين منقذ بيت المقدس من أيدي المشركين، وخادم الحرمين الشريفين، أبي المظفر بن أيوب بن شادي، سقى الله ضريحه صوب الرضوان، وأذاقه في مقر رحمته حلاوة الإيمان، وقد صدقت من أخبار الأولين ما كذب به الاستبصار، وشهدت بالصحة لما روي من نوادر الكرام الأجواد، وحققت وقعات شجعان مالكها ما قدحت فيه الشكوك من أخبار الشجعان، ورأت العين في الصبر على المكاره في ذات الله، ما قوي بها الإيمان، وعظمت عجائبها من أن يحتويها خاطر أو يجنها جان، وجلت نواظرها من أن تحد ببيان لسان أو أن تسطر في طرس بنان.(39)

وفي وصف معركة حطين يقول بهاء الدين بن شداد في كتابه النّوادر السلطانية: "وكانت في يوم السّبت في الرّابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وذلك أنّ السلطان رأى أنّ نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الملك، وتمكين الله إياه في البلاد، وانقياد النّاس لطاعته، ولزوم قانون خدمته، ليس لها شكر سوى الاشتغال ببذل الجهد والاجتهاد، وفي إقامة قانون الجهاد، فسيّر سائر العساكر واستحضرها واجتمعوا إليه في التّاريخ المذكور. ويكمل بهاء الدّين في وصف المعركة فيقول: واندفع قاصدا نحو بلاد العدو المخذول في وسط نهار الجمعة السّابع عشر من ربيع الآخر وكان أبدا يقصد بوقعاته الجمع، لا سيما أوقات صلاة الجمعة، تبركا بدعاء الخطباء على المنابر، فربما كانت الأقرب إلى الإجابة".(40)

ثم يقول: "فضايق المسلمون الفرنجة على التل، وأشعلوا حوليهم النّار وقتلهم العطش، وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفا من القتل، فأسر مقدموهم وقتل الباقون وأسروا، وكان فيمن قتل وأسر الملك جفري وأخوه، والبرنس أرناط، ومقدم الداوية وغيرهم وذكر أن من قتل في هذه المعركة من الإفرنج ثلاثون ألفا، وأسر ثلاثون ألفا آخرين".(41)

فتح نابلس:

واستمر صلاح الدّين يوسف بن أيوب بعد معركة حطين بفتح المدن المحتلة في فلسطين، ومنها مدينة نابلس التي فتحها صلاح الدّين أيوبي سنة 583هـ وقد استلمها القائد حسام الدين بن لاجين، وفي ذلك يقول القاضي بهاء الدّين بن شداد "ثم رحل قدس الله روحه طالبا عكا وكان نزوله عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر، وقاتلها بكرة الخميس جمادي الأولى، فأخذها، واستنفذ من كان فيها من الأسرى وكانوا زهاء أربعة آلاف نفر، واستولى على ما فيها من الأموال والذّخائر والبضائع، فإنها كانت منطقة التجار، فتفرقت العساكر في بلاد الساحل، يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، وأخذوا نابلس، وحيفا، وقيسارية، وسفوريا، والناصرة، وكان ذلك لخلوها من الرجال بالفتك والأسر".(42)

وفي وصف فتح نابلس يقول العماد الأصبهاني: "فلمّا عرف أهل نابلس بكسر الفرنج، فكبس أهل الضّياع في الدورّ الرّباع، وغنموا ما وجدوه من الذخائر والمتاع، وأوقعوا بضعاف الإفرنج، وضايقوا الحصون على أقويائهم، وسار إليها الأمير حسام الدين بن لاجين ابن أخت صلاح الدّين، وطال حصاره للفرنج ثم استنزلهم بالأمان، واستمال من سكانها من فرض عليه الجزية، فعادة بلدة محشوة بسكناها كالرّمان، وبقيت إلى أخر عهده، وعمرة بعدله وإحسانه ورفقه ورفده".(43)

فتح بيت القدس:

اتّجه صلاح الدّين بعد أن فتح الرّملة إلى فتح غزة، والخليل، وبيت لحم، وجبريل، والنّطرون، ثم اتجه إلى القدس يقول ابن الأثير: "وسار صلاح الدّين حتى نزل على أسوار القدس منتصف رجب سنة 583هـ / 1187م، فلما نزلوا عليه رأى المسلمون على سوره من الرجال على ما لهم، وسمعوا لأهله من الجلبة والضّجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع، وبقي صلاح الدّين خمسة أيام يطوف حول المدينة، لينظر من أين يقاتله، لأنّه في غاية الحصانة والامتناع، ونصب المجانيق على سور البلد ورموا بها، وكل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحتما واجبا".(44)

لقد صمّم صلاح الدين أن يدخل القدس عنوة، وأن يحدث بهم القتل والتّدمير، وأقسم أنه سوف ينالها بحد السّيف، وفي ذلك يقول ابن الأثير: " فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المجانيق بالرمي المتدارك، وتمكن النّقابين من النّقب، وأنهم قد أشرفوا على الهلاك، اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون، فاتفق رأيهم على طلب الأمان، وتسليم البيت المقدّس إلى صلاح الدّين، فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم في طلب الأمان، فلما ذكروا ذلك للسّلطان امتنع عن إجابتهم وقال، لا أفعل بكم إلا كما فعلتموه بأهله حين ملكتموه سنة 492هـ من القتل والسّبي، وجزاء السيئة بمثلها".

فلما رجع الرّسل خائبين محرومين، أرسل باليان بن بيرزان، طلب الأمان لنفسّه ليحضر عند صلاح الدّين في هذا الأمر وتحريره، فأجيب إلى ذلك وحضر عنده، ورغب في الأمان وسئله فيه، فلم يجبه إلى ذلك، فاستعطفه ولم يعطف عليه، واسترحمه فلم يرحم، فلما يئس من ذلك قال له: أيها السّلطان، اعلم أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى، وإنّما يفترون عن القتال رجاء الأمان، ظنا منهم أنّك تجيبهم كما أجبت غيرهم، وهم يكرهون الموت، ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا أنّ الموت لا بد منه، فوالله لنقتلن أبناءنّا ونساءنا، ونحرق أموالنا وأمتعتنا، ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما، ولا تسبون رجلا ولا امرأة، وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع، ثم نقتل من

عندنا من نصارى المسلمين، وهم خمسة ألاف أسير، ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا إلا قتلناه، ثم خرجنا إليكم كلنا فقاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه، وعندئذ لا يقتل الرجل إلا يقتل أمثاله، ونموت أعزاء أو نظفر كراما".(45)

فاستشار صلاح الدّين أصحابه فاجمعوا على إجابتهم إلى الأمان، فاستجاب صلاح الدّين إلى بذل الأمان للفرنج، ويدفع كل إفرنجي فدية عن نفسه. وسلمت المدينة لصلاح الدّين يوم الجمعة السّابع والعشرين من رجب، وكان يوما مشهودا، ورفعت الأعلام الإسلاميّة، على أسوارها، وأوفى صلاح الدّين ما أعطاه من الأمان للإفرنج.

"وهكذا عادت القدس للمسلمين، فملك صلاح الدّين البلد، وفارقه الإفرنج، وكان ذلك يوم الجمعة رابع شعبان فصلى المسلمون فيه الجمعة، ومعهم صلاح الدّين، وصلى في قبّة الصخرة، وكان الخطيب الإمام محي الدّين بن زكّي. فقام صلاح الدّين بتعمير المدينة وهيئ المسجد الأقصى لصلاة المسلمين فيه وهكذا عادة القدس وتم تحريرها وبقية المدن المحتلة من الإفرنج، وجاء الشّعراء مادحين صلاح الدّين وجيشه، ومن هؤلاء الشّعراء الشريف النّسابة نقيب الأشراف بالدّيار المسلمة. فمدح صلاح الدّين في قصيدة يقول فيها:

أترى مناما ما بعيني أبصر   القدس يُفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم في القيد مصفود ولم   ير قبل ذاك لهم مليك يأسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي   وعد الرسول فسبّحوا واستغفروا
يا يوسف الصديق أنت لفتحها   فاروقها عمر الإمام الأطهر(46)

ومدح الرّشيد بن بدر النّابلسي صلاح الدّين بمناسبة فتحه لبيت المقدس:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر   فليوف الله أقوام بما نظروا
هذا الفتوح الذي جاء الزمان به   إليك من هفوات الدهر يعتذر
يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت   بعد الصّليب الآيات والسّور(47)

نتائج الدّراسة:

وبعد، فهذه دراسة بعنوان "دور نابلس في عصر الحروب الصّليبيّة" الهزيمة والانتصار، بينت هذه الدّراسة دور نابلس السياسّي والعسكري في تلك الحروب، والتي لم تكن منفصلة عن تاريخ فلسطين في تلك الفترة. وقد أظهر هذا البحث النّتائج التّالية:

- بيّن البحث أن تفرق المسلمين وتمزقهم كانت أسبابا رئيسة في هزيمتهم، وانتصار الفرنج الصليبيين عليهم.
- وضّحت الدراسة أنّ الانقسامات الفئويّة بين الفرق والجماعات الإسلاميّة والصّراع الحزبي قد أسهم في إضعاف المسلمين، وذهاب قوّتهم.
- أظهرت الدّراسة أنّ مدينة نابلس وجبالها قاومت المحتلين الإفرنج مقاومة عنيفة، وأسهمت في هزيمتهم.
- كان لموقع نابلس الجغرافي، عامل مهمّ في المعارك بين المسلمين والفرنج.
- رأينا في هذا البحث أنّ الفرنج أدركوا أهميتها، فجعلوها مركزا رئيسا ومهمّا للملكة اللاتينيّة الصّليبيّة.
- كان لقوة اقتصاد نابلس ووفرة خيراتها أن جعلها الصليبيون الممون الأكبر لجيوشهم وجنودهم.
- أدرك صلاح الدّين أهميتها العسكريّة، وثقلها السّياسي والاقتصادي، فقام بالهجوم عليها قبل معركة حطين، وفتح بيت المقدس، لكسر شوكتهم، وأضعاف معنوياتهم.
- غدت غزوة نابلس وانتصار صلاح الدّين على الفرنج فيها، مقدمة مهمة لانتصار المسلمين على الصّليبييّن في معركة حطين والقدس.
- كان وجود القادة العظام من أمثال عماد الدّين ونور الدين وصلاح الدّين الأثر الأكبر في الانتصارات على الفرنج.
- كان لوجود علماء مجاهدين، الدور الأكبر في قوّة الأمّة وانتصارها على أعدائها الفرنج الصّليبييّن، أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني، وابن قدامة، والجويني، وأبو حامد الغزالي، وابن الجوزي، وغيرهم.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبو شامة المقدسي، (19-)، الروضتين في أخبار الدّولتين، بيروت، دار الجيل، ج2.
3. ابن الأثير، علي بن محمد ابن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، (ت630هـ/1232م) (1963)، التّاريخ الباهر في الدّولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر محمد طليمات، القاهرة، د.ن.
4. الكامل في التّاريخ، (19-)، بيروت، دار صادر، ج14.
5. ابن جبير، أبو الحسين، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، (ت614هـ/2117م)، (1964)، تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات بالأسفار، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ن.
6. الأبيوردي، أبو المظفّر، (ت 507هـ/1113م)، (1987)، ديوانه، تحقيق عمر الأسعد، بيروت، مؤسسّة الرّسالة.
7. أسامة بن منقذ، (ت548هـ/1888م)، (1987)، الاعتبار، تحقيق قاسم السامرّائي، الرّياض، دار الأصالة للثقافة.
8. بردج أنتوني، (1985م)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة احمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، دمشق، دار قتيبة.
9. البنداري، الفتح بن علي، (1979م)، سنا البرق الشامي من كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر.
10. البيتاوي جبر خضير، (1994م)، الحروب الصليبيّة من خلال الشّعر، رسالة دكتوراه، بيروت، جامعة القديس يوسف.
11. نابلس في كتب الجغرافيين والرّحالة العرب والمسلمين، (1999م)، ص212-197، ندوة نابلس بين الماضي والحاضر، نابلس، جامعة النّجاح الوطنيّة، قسم التّاريخ، كلية الآداب، تحرير الدّكتور خليل عودة، والدّكتور محمود عطا الله.
12.
13. دور الإمام الغزالي في توحيد الأمة ونبذ الفرقة، للنهوض بها من الهزيمة إلى الانتصار، (2012م)، مؤتمر التّعددية وحق الاختلاف من منظور أسلامي، ودور الجامعات في تنمية ذلك، نابلس، فلسطين، جامعة النّجاح الوطنيّة، كلية الدّراسات العليا، بالتعاون مع كليّة الشّريعة.
14. البيشاوي سعيد، (1995م)، نابلس في عصر الحروب الصّليبيّة، عمان، د.ن.
15. التوراة, سفر التّكوين.
16. رونسمان ستيفن، (1963م)، تاريخ الحروب الصّليبيّة، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة، د.ن، 3ج.
17. سلام محمد زغلول، (1990م)، الأدب في العصر الأيوبي، الإسكندرية، منشأة المعارف.
18. الصّوري وليم، (1990م)، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكّار، بيروت، 2ج.
19. القلقشندي، أحمد بن علي بن عمر بن صالح، (ت 821هـ/218م)، (1987م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 15ج.
20. كلبونة عبد الله، (1992م)، تاريخ مدينة نابلس، نابلس، د.ن.
21. عبد المهدي عبد الجليل حسن، (1989م)، بيت المقدس في شعر الحروب الصّليبيّة، عمان، دار البشير.
22. مجير الدين الحنبلي، (ت927هـ/1418م)، (1973م)، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، عمان، مكتبة المحتسب.
23. ياقوت، الحموي، (ت622هـ/1282م)، (1990م)، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية.